جزيرة العرب
أرض الإسلام المقدسة
وموطن العروبة وأمبراطورية البترول

مؤلف هذا الكتاب هو الباحث الفرنسي جان جاك بيربي وكان محاضراً في مركز الدراسات العليا في الادارة الاسلامية في باريس وهو أحد الذين انصرفوا لدراسة الجزيرة العربية والخليج العربي ويتناول هذا الكتاب تاريخ المنطقة من عام ١٩٣٧م الى ١٩٥٨م عام ظهور الطبعة الاولى له أما هذه الطبعة فهي صادرة عن مكتبة العبيكان- الرياض الطبعة الاولى عام ٢٠٠٢م ترجمة الدكتور محمد خير البقاعي ، استاذ مشارك في جامعة الملك سعود كلية الاداب - قسم اللغة العربية ، وهذا الكتاب يكتسب اهميته الموضوعية من كمية المعلومات الكثيرة التي يقدمها للقارئ وبالذات في ما يتصل بمغامرات اكتشاف النفط في الجزيرة العربية وحدة التنافس الذي كان قائماً بين الشركات للحصول على إمتيازات التنقيب وغيرها من البيانات الهامة من تاريخ هذه المنطقة والتي نقدم بعضاً منها في هذا العرض .

عرض : نجمي عبدالمجيد

طريق اكتشاف الذهب الاسود

عن هذا الموضوع يقول الكاتب : (اعتاد الناس اليوم على اسم أرامكو ، إنه يشير الى واحدة من أكبر شركات العالم ، ومع ذلك فإن حفنة المستكشفين الذين حطوا رحالهم في الاحساء في سبتمبر - أيلول ١٩٣٣م لم يكن يخطر ببالهم أبداً أن الشركة ستبيع ٤٠٪ من حصصها بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٤٧م ،وبعد عشرسنوات عام ١٩٥٧م أصبح ثمن الحصة نفسها خمسة أو ستة أضعاف ويمكن اليوم أن نقدر قيمة الآبار السعودية بـ ٥ مليار دولار على الاقل .

بدأ التنقيب في الدمام واتسع نطاقه حول الخبر على الساحل ، ثم في الظهران ، على مسافة ٦ أو ٧ كيلومترات الى الداخل ، وكانت أول عملية حفر في الظهران عام ١٩٣٥م قد أعطى دلائل مشجعة وخلال السنوات الثلاثة التالية صرفت ملايين الدولارات في سبع مناطق حفر أخرى ، دون العثور على مخزون بترولي صالح للاستثمار ومع ذلك وصلت في مارس ١٩٣٨م عمليات الحفر في البئر رقم ٧ في الظهران الي عمق قدره ٤٥٥٠ قدماً وعثرت على طبقة مشبعة بالبترول إثر ذلك تسارع التنقيب الذي كان يترنح ودب في الحال نشاط كثيف في مرافق التنقيب وبدأت الاستعدادات للاستثمار وعادت آلات الحفر من جديد الى الآبار التي هجرتها فعمقت وحفرت آبار أخرى جديدة وأنشئت الخزانات ومدت الانابيب وفي سبتمبر اتجهت أول شحنة من الزيت الخام السعودية تحملها الناقلات الضخمة الى البحرين .

وبعد زمن قصير أدى التنقيب الذي شجعته النتائج الاولية إلى إكتشاف حقول " أبو حدرية" علي مسافة ١٥٠ كيلو متراً تقريباً الى الشمال من الظهران ثم حقول الدمام وبقيق والقطيف والعثمانية وتتابعت الاكتشافات وآخرها حقل الخرسانية عام ١٩٥٦م وتؤلف آبار العثمانية وعين دار والشجوم حقل غوار الذي ينافس حقل برقاق " الكويت " على الرقم العالمي في الاتساع . وقد أنشأت ارامكو في الحوض البحري مركز إنتاج في السفانية ويبشر هذا الحقل الذي بدأ استثماره في ابريل ١٩٥٧م أن يكون أحد أهم الحقول البترولية ، وبينما كانت الشركة تنقب في قعر المياه القليلة العمق للخليج العربي كانت فرق السبرالجيوفيزيائي تلج صحراء الربع الخالي الموحشة وكانت التقنيات الحديثة - الطائرات والهيلوكوبتر ، والجرارات الصحراوية الضخمة في بعض الحالات والجزر الاصطناعية هي الأخرى - تساعد علي توسيع مجالات التنقيب وامكانياته ، وشجعت النتائج التي حصل عليها المنقبون الشركات علي توظيف الاستثمارات الضخمة الضرورية).

الانتاج والاحتياطي

في عام ١٩٣٨م صدرت أول شحنة من النفط الخام السعودي إلى البحرين وكان ذلك في شهر سبتمبر وقد بلغ انتاج ذلك العام ٦٥ ألف طن تم تجاوز الانتاج في السنة الاولى بعد مد خط أنابيب البترول الى رأس تنورة والذي كانت تاريخ افتتاحه في ١ مايو عام ١٩٣٩م الى ٥٢٠ ألف طن .

وبداية من عام ١٩٤٦م تصاعدت ارقام انتاج النفط لتصل الى أكثر من ٤٧ مليون طن في عامي ١٩٥٥م و١٩٥٦م .

وساعد توصل خط الانابيب عبر البلاد العربية والذي انتهى العمل منه عام ١٩٥١م بمضاعفة الانتاج واصبحت السعودية تحتل المرتبة الخامسة بين الدول المصدرة للنفط في ذلك الوقت عالمياً بعد امريكا وفنزويلا والاتحاد السوفيتي والكويت ، غير أن احتياطي السعودية من النفط يضعها كما يشير الكاتب على رأس الدول المنتجة كلها .

في عام ١٩٤٥م قدر الاحتياطي السعودي من النفط بـ ٣٠ مليار برميل وقد شكل في تلك الفترة ٣٤,٨٪ من جملة الاحتياطي العالمي وفي عام ١٩٥٥م وصل الى ٣٥ مليار برميل وكان احتياطي الشرق الأوسط من البترول يمثل في عام ١٩٥٣م ٦١,٢٪ من نفط العالم الاحتياطي وارتفع في عام ١٩٥٧م الى ٧٠ ثم الي ٧٥٪ وقد عاد بسبب ذلك الارتفاع الى الاكتشافات الجديدة في السعودية والكويت في المنطقة المحايدة في ذلك الوقت وتقع هذه المنطقة على الخليج العربي بين الأحساء والكويت وتبلغ مساحتها ٥,٢٠٠كم مربع من الصحراء القاحلة مليئة بالسباخ الملحية ، ولاتصلح للسكن وليس بها غير البترول .

عام ١٩٣٩م كانت مصفاة صغيرةقدبدأت تكرار كل يوم ٣٠٠٠برميل وخلال الحرب العالمية الثانية "١٩٣٩-١٩٤٥م" اقامت شركة أرامكو عند رأس تنورة مصافي تكرر٥٠ ألف برميل كل يوم وتضاعفت بعد ذلك تلك الطاقة الانتاجية حتى وصلت عام ١٩٥٤م الى ٢١٠ ألف برميل يومياً وقد وصلت القدرة الكلية لتكرير البترول في السعودية عام ١٩٥٥م الى ١١,١٠٠,٠٠٠ طن .

فرنسا والمملكة العربية السعودية

عن تاريخ العلاقات الفرنسية ، السعودية يقول الكاتب : (كانت فرنسا واحدة من أولى القوى العظمى التي أعترفت عام ١٩٢٥م بالملك عبدالعزيز آل سعود ملكاً على الحجاز ، وأول دولة رفعت مستوى تمثيلها الدبلوماسي في عام ١٩٢٩م من قنصلية في جدة الى مفوضية وهي اليوم سفارة.

ومنذ ٢٢ سبتمبر ١٩٢٥م عقدت فرنسا مع المملكة اتفاقية تجارية باسم دول المشرق التي كانت تحت الانتداب الفرنسي ، وعارضت فرنسا بقوة شأنها شأن المملكة العربية السعودية المشروعات البريطانية " الهلال الخصيب" أو " سورية الكبرى" الهاشمية .

ولكن هذه المواقف لاتكفي مع ذلك لشرح العلاقات السعودية- الفرنسية الطيبة.

يتميز عرب الصحراء باندفاعهم وراء عواطفهم وكان الملك عبدالعزيز في مناسبات عديدة يلمح الى تبادل الرسائل بين بلده ونابليون الاول في اثناء حملة الامبراطور على المشرق ويتحدث بنوا ميشان في كتابه عن ابن سعود عن بعثة فرنسية برئاسة لاسكاريس، ارسلها بونابرت الى عبدالعزيز الاول في عام ١٨١١م وقد هاجم الوهابيون تركيا على جبهتها في بلاد الرافدين بناء على طلب امبراطور الفرنسيين، ولكن هزيمة الجيوش النابليونية واندحارها وضع حداً للتحالف الفرنسي- العربي.. ومهما كان نصيب تلك الاحداث من الصحة، فان اعجاب ابن سعود «بالامبراطور العظيم» كان مصدر شعور صداقة نحو فرنسا، انعكاساً بعيداً للمجد الذي حققته الملحمة النابليونية.

ان مصالح فرنسا الضخمة في ارض الاسلام، في افريقيا الشمالية، وفي افريقيا السوداء، وفي بلاد المشرق فيما مضى، كل ذلك، يمنح العلاقات الطيبة مع اسياد الحجاز اهمية استثنائية.

وفي عام ١٩٥٣م قدمت السعودية ٦١,٥٨٥,٠٠٠ برميل من ٧٣ مليون برميل عولجت في مصفاة سترة في جزيرة البحرين وينقل الى ذلك المكان عبر انابيب ممتدة تحت مياه الخليج العربي وكانت قدرة التكرير في تلك المصفاة قد وصلت عام ١٩٥٥م الى ٧٦ مليون برميل وكانت السعودية قد قطعت النفط خلال اربعة اشهر من ٦ نوفمبر عام ١٩٥٦م الى ١١ مارس ١٩٥٧م الى البحرين رداً على العدوان المسلح الفرنسي والبريطاني والصهيوني على مصر .

اكتشاف البترول في البحرين

عرفت البحرين قديماً بأسم «لؤلؤة الخليج» لكثرة مصائد اللؤلؤ فيها وتتكون من مجموعة جزر اكبرها جزيرة البحرين والتي اطلق على الامارة اسمها، وكانت مقر المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، ومساحة الارخبيل كلها لا تتجاوز (٥٥١) كيلو متراً مربعاً، والى جوار الجزيرة الكبرى جزيرتان من الجزر الخمس مأهولة، وقد حصلت شركة الميجور هولز البريطانية للبترول على امتياز التنقيب في جزر البحرين قبل ان تصبح في عام ١٩٣٠م ملكاً للشركة الامريكية ستاندرد اويل اوف كاليفرونيا.

عام ١٩٣٢م اكتشف البترول في البحرين في العوالي، جنوب غرب المنامة وكانت بداية استثمارة في عام ١٩٣٤م، وقد وصل الى اعلى حد في الانتاج عام ١٩٤٨م، (٥٠٠ر٥٠٠ر١) طن سنوياً ويبلغ الاحتياطي في عام ١٩٥٣م (٨٠٠) مليون برميل، وكانت مصفاة البحرين قد انشئت عام ١٩٣٦م في سترة وارتفعت طاقتها السنوية من (٦٦) مليون برميل عام ١٩٥١م الى (٧٨) مليون عام ١٩٥٤م وكان اكثر النفط الخام السعودي ياتيها من آبار الاحساء عبر انابيب تحت البحر يصل طولها الى (٢٦) كلم وفي عام ١٩٥٣م كانت تتلقى المصفاة ايضاً بترول خام من سو مطرة.

الكويت والثروة النفطية

في عام ١٩٣٤م حصلت شركة الكويت اويل على امتياز التنقيب عن النفط شمل كل اراضي الكويت تصل مدته الى (٧٥) عاماً وكان اتفاقاً اخر حول اقتسام الارباح قد وقع عام ١٩٥١ جدد بموجبه هذا الامتياز لفترة ٧٥ عاماً كانت بدايته في شهر ديسمبر عام ١٩٥١م، وشركة الكويت اويل مسجلة في كندا لمراعاة الحقوق البريطانية الحصرية وقد تكونت من قسمين متساويين تمتلكهما شركتا دارسي كويت اويل وهي فرع من الشركة البريطانية، بريتيش بتروليوم «Bp» وشركة غولف كويت اويل وهي فرع من الشركة الامريكية الضخمة غولف اويل كوربور يشين.

وحول هذا الجانب يقول الكاتب: «اكتشف اول بئر بترولي في عام ١٩٣٨م، بعد كان التنقيب الاولى غير مجدياً.

ومنذ اللحظة الاولى، بدأ ان الابار هي من اهم الابار في العالم جيولوجياً وغزارة، فما من بئر في الكويت يتجاوز عمقة (١٥٠٠) متر، وشروط الاستثمار هي على العموم اقتصادية.. ناهيك عن ان قرب البحر وكونه في مستوى اكثر انخفاظاً من الحقول، يسمح بارسال البترول الخام للساحل دون حاجة الى الضخ .

وعلى الرغم من هذا كله ، وبسبب الحرب العالمية على وجه الخصوص لم يبدأ الانتاج التجاري إلاّ في عام ١٩٤٦م ، ليصل بسرعة الى أرقام قياسية .

إن الامكانيات البترولية الكويتية الضخمة كانت موضع اختبار خلال الازمة البريطانية - الايرانية ، وما تلا ذلك من توقف الشركة الانجلو - إيرانية ، شريكة شركة بريتيش بتروليوم ، وعن الانتاج في إيران علي الجانب الآخر من الخليج العربي).

في شهر يونيو عام ١٩٤٦م توجهت شحنة النفط الاولى من الكويت الى أوروبا " بترول خام" ٨٠٠ ألف طن وكان هذ الرقم هو المستخرج في تلك السنة ، بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار ، وفي عام ١٩٥٠م بلغ الانتاج ١٧ مليون و ٣٠٠ ألف طن بمبلغ ١٢ مليون و ٤٠٠ ألف دولار وفي عام ١٩٥٦م بلغ الانتاج ٥٥ مليون طن بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار ، وقد وصل الانتاج في عام ١٩٦٢م الى ١٧٥ او ١٨٠ مليون طن وكان ذلك الانتاج يعادل الانتاج الكلي للشرق الاوسط باسره عام ١٩٥٦م .

لقد ارتفع إنتاج الكويت من النفط من ٨٠٠ ألف طن الى ٥٥ مليون طن خلال عشر سنوات وكذلك العائدات ارتفعت من ٨٠٠ ألف دولار إلى أكثر من ٣٠٠ مليون دولار في نفس الفترة الزمنية ، وكان الاحتياط الكويتي من النفط عام ١٩٥٣م بـ ١٨ مليار طن و ٢٠٠ مليون برميل ، وهو يمثل ١٥٪ من مجموع الاحتياط العالمي بالعالم في ذلك الوقت وفي عام ١٩٥٥م قدر بـ ٢٥ مليار برميل غير الحقول الجديدة التي أكتشفت بعد ذلك ويقع الحقل الرئيسي علي بعد حوالي ٤٠ كم الي جنوب مدينة الكويت واشهر آباره المنتجة البرقان والمقوع .

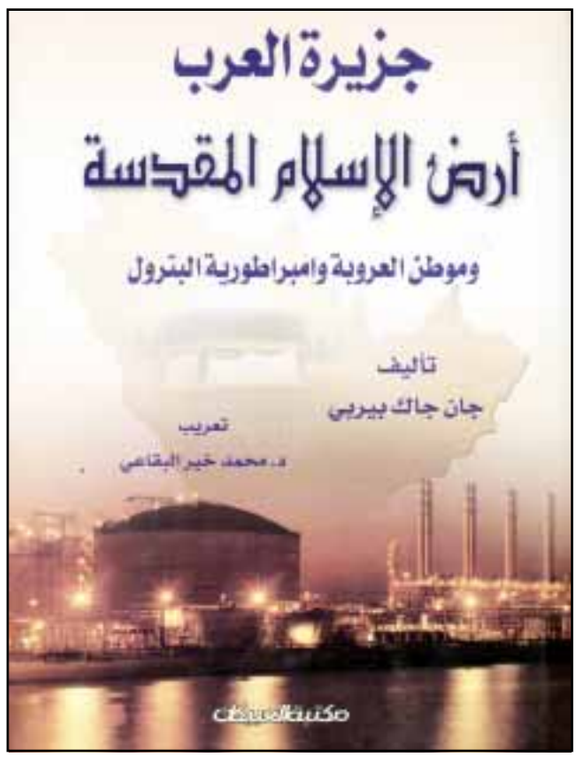

مكانة الجزيرة العربية في العالم صاحب الجلالة البترول

في هذا الفصل يقول الكاتب الفرنسي جاك جاك بيربي : (لو أننا أزلنا الحدود من شبه جزيرة قطر حتى العراق في الجنوب لاصبحت اضخم آبار البترول في العالم تحت سلطة واحدة ، لأن نصف بترول العالم موجود تحت الرمال التي تحيط بالخليج العربي .

إن وجود الذهب الاسود - الذي لسنا بحاجة الى البرهنة علي الدور الذي يؤديه في الاقتصاد والسياسة العالميين - يسمح لاصحاب المليارات الاشحاء بإزدراء دبلوماسي القوى العظمى المحترمين ، ويجعل رؤساء دول كبرى يقاسون من مزاجيتهم .

الانتاج والاحتياطي في عامي ١٩٥٦-١٩٥٧م

كان إنتاج البترول الخام الكلي في الشرق الاوسط قبيل وقت قليل من العدوان الفرنسي البريطاني على بورسعيد في نوفمبر ١٩٥٦م قد تجاوز المتوسط السنوي وقدره ١٨٠ مليون طن . وفي أكتوبر ١٩٥٦م كان الخبراء يقدرون إن الانتاج الكلي سيصل في نهاية السنة إلى ١٨٥ أو ١٩٠ مليون طن . ولكن النتائج المباشرة للعدوان على بورسعيد ، كانت انخفاضاً مفاجئاً في الانتاج في أغلب البلدان خلال آخر شهرين من السنة ، ثم تلا ذلك إرتفاع بطئ في الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٥٧م. لقد كان تأثر المنتجين الرئيسيين بذلك متفاوتاً وانتهت السنة بنسبة إنتاج قدرها ١٧٢ مليون طن .

وقد اسهمت الجزيرة العربية " الكويت، والسعودية ، وقطر والمنطقة المحايدة ، والبحرين " - بـ ١١٢ مليون طن واقتسمت العراق وايران المقدار الباقي بأكمله تقريباً .

وتأتي الكويت والسعودية في المرتبة الرابعة والخامسة بين المنتجين العالميين بعد الولايات المتحدة الامريكية ، وفنزويلا ، والاتحاد السوفيتي ، ولكنهما تبزان الدول الاخرى في كمية الاحتياطي والخبراء ليسوا متفقين على من يتبوأ المركز الاول ، والرأي الراجح أنها المملكة العربية السعودية).

قطر والبحث عن البترول

في عام ١٩٣٥م منح إمتياز البحث عن البترول في قطر لشركة الانجلو - إيرانيان أويل ، ثم تحول الى بتروليوم ديفلوبمنت قطر وهي فرع من شركة العراق بتروليوم واصبح اسمها بعد ذلك شركة قطر بتروليوم وكانت مدة الامتياز ٧٥ سنة تنتهي في عام ٢٠١٠م وبدأت التنقيبات عام ١٩٣٧م الى نتائج ايجابية عام ١٩٣٩م فقد عثر في الساحل الغربي من شبه جزيرة قطر في مواجهة البحرين في مكان يعرف باسم دخان وهو كثير السباخ على بئر صالح للاستثمار غير أن الحرب العالمية الثانية اوقفت تلك الاعمال ، وكان من نتائج التنقيبات عام ١٩٤٧م تزايد الانتاج التجاري منذ عام ١٩٤٩م.

عام ١٩٥٤م بدأت شركة شل عملية الحفر في الخليج الصغير والذي تقع عليه الدوحة وذلك بمساعدة جزيرة اصطناعية عائمة وأنفق علي هذا العمل مئات الملايين والتي ضاعت بفعل عاصفة من عواصف الخليج غير المنتظرة التي هبت في ديسمبر عام ١٩٥٦م ودمرت كل معدات الحفر ، غير أن شركة شل اعلنت في بداية فبراير ١٩٥٧م على العودة الي أعمال الحفر من جديد في مكان آخر وقد استأجرت رصيف عائم للحفر من شركة أخرى وحتى عام ١٩٥٧م ارتفع إنتاج قطر الى ٦ ملايين طن وبلغ الاحتياطي القطري من البترول حتي عام ١٩٥٣م مليار و٢٠٠ مليون برميل .

الانتصارات الامريكية

يقول مؤلف الكتاب عن هذا الجانب : (لقد فرضت الولايات المتحدة الامريكية تفوقها النهائي على بريطانيا في عام ١٩٥٤م مع تسوية النزاع الانجلو - إيراني ، عندما حصلت الشركات الامريكية على ٤٠٪ من أسهم إتحاد الشركات الايرانية ، ٣٥٪ منها تتوزعها الشركات الخمس الكبرى والـ٥٪ تمتلكها تسع شركات " مستقلة" إن الشركات الامريكية التي تساندها وزارة الخارجية زاحمت بثقة الشركات البريطانية التي ربطت بها الشركة الفرنسية مصيرها ، وإن الشركات الثمان الكبرى في المجالات الكارتيلية ، اتفقت فيما بينها لمحاربة القناصين او الاحصنة السوداء .

والشركات الامريكية : ستاندرد أويل ، وغولف أويل ، كوربوريشن ، وسوكوني موبيل اويل ، والمجموعة الانجليزية - الهولندية رويال دوتش - شل ، والشركة البريطانية بريتيش بتروليوم ، والشركة الفرنسية للبترول ، قبلوا جميعاً علي مضض ، ولكن دون خوف مفرط .. دخول " المستقلين" الامريكيين حلبة الصراع).

لو أننا أزلنا الحدود من شبه جزيرة قطر حتى العراق في الجنوب لأصبحت أضخم آبار البترول في العالم تحت سلطة واحدة

إن إحتياطي الشرق الاوسط كان يمثل في عام 1953م 61.3٪ من الاحتياطي العالمي وارتفع في عام 1957م الى 70 ثم 75٪ ويعود هذا الارتفاع الى الاكتشافات الاخرى في السعودية والكويت والمنطقة المحايدة

صدرت أول شحنة من البترول الخام السعودي الى البحرين في سبتمبر 1938م وبلغ الانتاج في العام نفسه (65) ألف طن

عام 1932م أكتشف النفط في العوالي جنوب غرب المنامة وبدأ استثماره في عام 1934م